حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٥ (عدد يناير – مارس ٢٠١٧)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

صورة الموت في الرواية الخليجية المعاصرة

زهير حسن العمري *

أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية- كلية العلوم والآداب - جامعة نجران

المستخلص

المقاربة التي تطمح هذه الدراسة إلى إنجازها حول صورة الموت في الرواية الخليجية المعاصرة، مقاربة تعلن منذ البدء اختلافها عن المقاربات التحليلية التي تناولت صورة الموت في الأعمال الروائية العربية، وهو اختلاف ناتج من إيماننا بأن العمل الروائي يكشف خبايا المجتمع، ويكتب تاريخه الثقافي والاجتماعي، والفكري أيضًا.

وقد امتازت الرواية الخليجية عن غيرها بانبثاقها من التصور الإسلامي لحياة الناس، بالإضافة إلى ارتباطها بمجتمع محافظ،لم يتأثر كثيرًا بما تأثرت به معظم المجتمعات العربية الإسلامية من مؤثرات أجنبية، وأدى هذا إلى تعدد التجارب والمواضيع التي تناولتها- والتي كانت صورة الموت أميزها على الإطلاق- انطلاقا من الحقيقة القائلة بأن المتخيل الروائي هو حامل ثقافة المجتمع وقيمه.

ولذلك فإن السبب الرئيسي في توجهي نحو اختيار هذا الموضوع هو تفرد الروائيين الخليجيين في تعاطيهم أو تفكيرهم في أكثر المواضيع جدية وواقعية وتأثيرًا (الموت) عن غيرهم من الروائيين العرب ، إذ تستحوذ هذه الصورة على كتاباتهم الروائية، فنشعر بضعفهم أمام سطوة الموت ،ونلمس ذعرهم في أثناء مواجهته لما يملكون من إيمانيات، تساعدهم على هزيمته، والتغلب على حتميته.

ويبرز بشكل تلقائي الهدف من هذه الدراسة إنه هدف مرتبط بمحاولة تلمس اضطرابات الروائي الخليجي أمام فقدانه الحياة الممتلئة بالضجيج والحركة والطموح،ومواجهته للغياب الأبدي الذي حمل وشم حتميته الصارمة من صرخة الولادة، وتتبع رؤى وفضاءات هذه التجربة وصورها،التي هي حقول الحياة في عبورها الزمني السريع.

الكلمات الدالة : الرواية الخليجية، الموت، الرواية المعاصرة

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

مقدمة:

لا شك أن الموت هو النهاية الحتمية لكل الكائنات الحية، وما من إنسان إلا سيموت عاجلا آم آجلا، إذ له قدر محدد ومحتوم ؛ فطبيعة الحياة بأن يولد في كل لحظة آلاف من البشر، ويموت آلاف من البشر في اللحظة ذاتها، وفي ذلك قال الله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}(١٨٥) سورة آل عمران.

والموت حاضر في سائر مناحي الحياة بوصفه النقيض الآخر لها، وحاضر في الأدب باعتباره عنصرا أصيلا من عناصر الوجود والعدم ؛ وهو مادة أساسية للشعراء والروائيين؛ إذ يرون أن ثيمة الموت هي ثيمة رئيسة في الإبداع الشعري أو السردي؛ فهم يؤمنون بأن الإنسان كما له بداية، فإن له نهاية تأتيه في أي لحظة من حياته.

لقد استطاع كتّاب الروايات العربية التي تناولت قضية الموت أن يخلقوا مناخا فنيا مميزا لعرض مشاعرهم حتى وهم يغرقون في تتبع التفاصيل الدقيقة والمتشابكة لمشاهده ولحظاته، وعبروا عن أن الموت له طقوسه الخاصة به، ومشاهده الاستثنائية. إذ حاولوا تحديد لحظات الاحتضار بدقة، وفي أحيان كثيرة كانوا يحاولون استباق الواقع بعرض مشاهد جديدة غير متوقعة ولا حتى متخيلة للقارئ؛ ولذلك فقد اختلفت الأبعاد التي يرمي إليها كتاب رواية الموت بناء على ما صوروه في مشاهد رواياتهم التي طفحت بسيرة الموت وتاريخه وحكاياته الكثيرة.

غير أننا نجد أنفسنا مع هذا الكم الهائل من المشاهد والحكايات والأحداث في الروايات العربية نقف طويلا ؛ لنعرف حقيقة المنطلقات التي انطلق منها كتّاب الرواية الخليجية تحديدا لعرض صورة الموت وتجسيدها على الرغم من إيمانهم المطلق بحقيقة الموت، وما جدوى طرح أسئلة العقل حول استلهام الموت بهذا الشغف الكبير في الروايات الخليجية؟!

إن حضور الموت في الرواية العربية الخليجية كان حضورًا لافتا وبارزا؛ فلقد صور الكتّاب الخليجيون المعاصرون " الموت " في رواياتهم موضوعيا وفلسفيا؛ وسندرس عددا من النصوص الروائية في الخليج، فمن السعودية مثلا : " عبده خال "[١] و" تركي الحمد "[٢] و" محمد حسن علوان"[٣] و" علوان السهيمي"[٤]، ومن الكويت "سعود السنعوسي "[٥] و" بثينة العيسى"[٦] و" طالب الرفاعي"[٧]،ومن الإمارات " لولوه المنصوري "[٨] و"ميثاء المهيري"[٩] ومن قطر الكاتب" جاسم سلمان "[١٠] ومن عُمان" فاطمة الشيدي"[١١]، و" خوجة الحارثي "[١٢].

دراسات سابقة:

أما بالنسبة إلى الدراسات السابقة حول موضوع الموت في الرواية الخليجية المعاصرة، لم أجد هناك دراسة متخصصة عرضت لهذا الموضوع على وجه التحديد، على الرغم من وجود دراسات كثيرة درست ظاهرة الموت في الشعر[١٣]، باستثناء بعض الدراسات العامة، والقراءات النقدية التي قدمت لبعض الأعمال في بعض الصحف المحلية، والتي درست بعضها ثيمة الموت في بعض الروايات [١٤].

وقد رأيت في هذه الدراسة أنه من الضروري البحث عن أسباب حرص كتاب الرواية الخليجيين لكتابة رواية الموت من ناحية موضوعية، وعن أسباب تزايدها بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة ! ورأيت كذلك أنه من الضروري البحث عن أسرار كتابة روايات الموت في مجتمعات - إذا قورنت بغيرها - تعد مجتمعات مخملية ؛ " فأزمات الفقر والجوع والبطالة قد تكون أخف وطأة من أي مجتمع آخر؟! "

وتعرض هذه الدراسة لنماذج مختلفة من الروايات الخليجية التي عرضت لثيمة الموت، وتسعى إلى الغوص في أبعاد هذه الصور، وهي لا تسعى إلى حصر ظاهرة الموت في الرواية الخليجية بقدر ما تحرص على أن تستعرض بعض النماذج التي عرضت للموت بشكل تفصيلي وشكل البنية الأساسية لتلك النصوص الروائية، والتي سعت إلى تحقيق رؤى جديدة.

وتأسيسا على اتجاه هذه الدراسة في تتبع النصوص الروائية ؛ فإن هذه الدراسة ستتبع المنهج الوصفي التحليلي ؛ وذلك للبحث في قضية الموت بوصفها ثيمة أساسية في فكرتها ومضمونها، حيث كان الذات ـ في أغلب النصوص ـ متغلبة على الموضوع، وفي بعضها يتغلب الموضوع على الذات.

تمهيد:

أهم سؤال سيطرحه هذا المفتتح لماذا الموت في الرواية الخليجية ؟! ولماذا يكتب الروائيون الخليجيون عن الموت مع أنهم ينعمون بحياة أفضل من غيرهم ؟ هل هو خوفهم من المستقبل؟ أم هي انكسارات نفسية واجتماعية تلازمهم ؟ ولماذا أخذ الموت صورة وجودية أكثر من الحياة ؟ وإلى أيّ حد نجد الاحتفاء في رواية الموت حاضرة في روايات الكتّاب الخليجيين ؟!

ويمكن أن أرجع أسباب الكتابة عن الموت إلى ما يأتي :

أولا : الصراع الكبير الذي يعيشه الروائي في داخله المكبوت في مجتمعة يجعله ينظر إلى الأشياء بغير حقيقتها.

ثانياً : عوامل الكبت الاجتماعي، والشعور بالإحباط في جميع مناحي الحياة المختلفة، والتي ترتب عليها الإحساس بالانكسار، وتذوق مرارة الفشل والهزيمة.

ثالثاً : الرغبة في إعادة اكتشاف الحياة، ومحاولة ترتيب الأحوال والظروف التي تجعل الحياة رتيبة ومملة، ولا تختلف عن تفاصيل الموت بأشياء كثيرة.

ولا شك أن توالي الأسئلة حول كتابة الرواية الخليجية عن الموت واستشرافاته ؛ تشكل للقارئ كومة من الرؤى المتنوعة الكثيرة التي تحيط بأي قارئ متمعن للإنتاج الروائي الخليجي ؛ فكل هذه الأسباب أوجدت صوراً مختلفة لرؤية الكاتب الخليجي للموت، فهو لم يعد يتناول الموت تناولاً سطحياً مباشراً وأنه يمثل الفناء والعدم، بل أصبح هناك أسئلة كثيرة وشائكة تطرحها رواية الموت حول الحياة والإنسان والعالم.

وعلى الرغم من كل هذه الفرضيات والمسوغات التي جعلت الروائي الخليجي يكتب عن الموت، إلا أن الموت يعد باعثاً وملهما لأي كاتب ؛ فالكتابة عن الموت بمثابة إعادة نظر في قراءة الحياة من نافذة النهاية.

أولاً : البعد الحقيقي للموت

لم تكن قضية الموت في الرواية الخليجية قضية هامشية جاءت لاستعراض مراحل الفناء أو تبيان مراحل ما قبل الوجود، بل كان لها بعد فلسفي عميق في تسليط الضوء على مشكلات الإنسان بجميع أشكالها السياسية و الاجتماعية و الفكرية، وكان لا بد أن تنطلق فكرة الموت في ذهن أيّ كاتب ؛ وذلك لأنه في الأصل يمثل الحقيقة اليقينية لكل إنسان حيث " ترتبط مشكلة الموت من حيث إدراكها بالشخصية رغم أن الموت هو في أساسه قضاء على كل شخصية، فكلما كانت الشعوب أنضج وأقوى شخصية، كان الإنسان أقدر على إدراك الموت، ومن هنا نجد أن الإنسان البدائي، والإنسان الساذج لا يمثل الموت عندهما مشكلة " [١٥].

وبالنظر إلى صورة الموت نجدها تختلف من شخص لآخر إذ" تختلف النظرة إلى الموت اختلافا كبيرا تبعا لموقف صاحبها، ومنطقه، ودوافعه فقط.
وميز "شروت " ثلاثة مفاهيم للموت كما يراها الراشدون، وهي:

١- الموت بوصفه وسيلة يحاول الفرد بها اشتقاق أهداف معينة، وجوانب إشباع من البيئة كما في حالة التهديد بالانتحار.

٢- الموت بوصفه انتقالا إلى حياة أخرى، والتي قد ينظر إليها على أنها حياة رهيبة شنيعة أو مجيدة رائعة، ينتظرها الشخص بهدوء أو خوف.

٣- الموت بوصفه نهاية نتوقعها [١٦].

ووفقا للمفاهيم السابقة فإن واقعية الروائيين الخليجيين في تناول الموت وعمق المعرفة الدينية به من خلال تتبع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، جعلتهم ينجحون في رسم الموت وأبعاده المختلفة، واستطاعوا أن يمزجوا بين المعرفة الدينية والرؤية الفلسفية المعمقة التي أكسبت نصوصهم بُعدا فنيا متميزا.

وتعكس الروايات الخليجية الحقيقة المطلقة، وهي أن الموت انعكاس للحقيقة المطلقة بالفناء والعدم "... عندما يخالجنا الموت تتبدى الأشياء يقينية مطلقة، لنضع الموت في كأس ماء ونشربه، عندها ستتبدى الحقيقة، أو لنستشعر العتمة، انظر يمينا ويسارا هذه هي الحياة، وأخذ يضحك بهستيرية..."[١٧].

والروائي الخليجي المعاصر لديه علاقة وطيدة مع ثيمة بالموت، إذ أظهر تصورا واسعا لمراحل الموت وتمظهراته وأبعاده، و ارتبط الموت في الكثير من الروايات الخليجية - وخصوصا الروايات البحرينية والكويتية - ارتبطا وثيقا بالبيئة الخليجية من العلاقة بين الموت والبحر ؛" لقد تلازمت العلاقة بين البحر والموت، وهذه المتلازمة كانت مصدرا لكل الصور الشعرية عن البحر، وكان البحر مرتبطا مباشرة بفقدان الأهل، والأحبة، وفقدان الراحة؛ فالبحر كالحرب مسرح المشاركين فيه للموت " [١٨].

ويمكننا أن نحصر صور الموت الحقيقي التي عرض لها الروائي الخليجي في رواياته على النحو الآتي :

(أ) موت الأب

أدرك الروائيون الخليجيون أن تجربة الموت بكلِيَتها، تجربه لا بد منها، ترتبط بعجز الإنسان عن صدها. أو ردها مهما بلغ من القوة،لذا فقد سلطت تجربتهم المرتبطة بموت الأب الأضواء على هذه الحقيقة، فمن تأتي ساعته سيموت حتما.فالحياة لا تخضع لإرادة الإنسان، ولا لأمانيه.

وبرزت صورة فقدان الأب في رواية " منامات " للكاتبة العُمانية " خوجة الحارثي " حيث مثلت انعطافا مهما في حياتها والذي بسببه حصل الضياع لبطلة رواياتها خاصة بعد زواج أمها، وفشلها في علاقة حب، وكأن المتاهات والانكسارات حدثت بعد فقدان الأب الذي يمثل التوازن الإنساني والعاطفي في حياة الإنسان الخليجي.

لم يغب الوصف الدقيق لطقوس الموت وما يتبعه من مراحل يمر بها الميت، فعلى الرغم من تشابه هذه الطقوس وتطابقها في الكثير من المشاهد إلا إن الروائي الخليجي كان يسد تحضر هذه المشاهد وأنها بداية جديدة لحياة ذوي الميت ؛ فهي تشكل منعطفا جديدًا في حياتهم عند موت أي قريب لهم ؛ وفي رواية " الموت يمر من هنا " " انعطف المشيعون بالجنازة حتى سرنا موازين لقبة راعي القبضة ساعتها تمنيت أن أحتفظ به في هذا المكان ؛ إلا أن المشيعين تجاوزوا به قبة السيد، ودفنوه في الخلاء بجوار ظل شجرة (عرج) قديمة يأوي إلى أعيالها الليل والبوم.. واروه في التراب وعادوا...وظللت بجواره وحيدا مدة

طويلة.. كنت أجلس صامتاً..أنتظره أن يخرج..أن يزيح من على جسده دماءه، وأن يستند على عصا الجدة نوار، وأن تظل عيناه تجوبان الحقول، سمعته من خلفي يستنهضني بضحكة قصيرة... "[٢٩].

وانطلاقا من هذه الرؤية فقد توزعت تجربتهم أثناء معالجتهم لموت الأب في مسارين:

١- **المسار الأول :** مسار يمتلئ بالكمال والنضج العقلي، أساسه التفاؤل، وإمكانية الاستمرار " واروه في التراب وعادوا، وظللت بجواره وحيدا، مدة طويلة، كنت أجلس صامتا.... أنتظره أن يخرج..... أن يزيح من على جسمه دماءه، وأن يستند على عصا الجدة نور أن تظل عيناه تجوبان الحقول " فهذا مشهد قائم على استحضار لأسطورة تموز، الذي رحل تحت الأرض والذي يعد رمزا للخصب والحياة عند السومريين، ورمزا للنبات الذي يموت في فصل الجدب، ويهبط إلى عالم الموتى عند المنقلب الخريفي،ويعود حيا عند المنقلب الربيعي، فتعود بعودته الحياة الأولى للأرض. وهكذا تترسم أمامنا خيوط التشبث اللا إرادي بحياة الأب الذي تظهره هذه القوة اللامرئية، التي تؤكد حقيقة عدم التخلي عنه، وإمكانية التواصل معه، رغم موته.

٢- **المسار الثاني:** مسار ممتلئ بمظاهر التشاؤم والإحباط واليأس، والضعف والقنوط، وذلك لإحساس أصحابها بعدم قدرتهم على مواجهة هذه الأزمة، أو تحديها(فقام وحفر لأبيه في وسط البيت قبرا وأوسع له فيه ودفنه وأخذ يصلي ودعا له بالرحمة، إلى أن تجرأت الشمس على الشرق، وبدأت تتبدى مرسلة إشعاعا ضعيف الإنارة، الحياة ألم وألم).

إن القارئ لهذا المشهد الدرامي، يحس بمدى الكآبة التي يعيشها الابن من خلال تصويره لمشاعره، وهو يعيش تجربة دفن والده ؛ فالظروف الطبيعية التي وصفها، تكاد تخنقه بمقدرتها على الاستمرار رغم الغياب (الشمس تشرق بعد الغياب) مما زاده كآبه على كآبه،وحزنا على حزن، الحياة تبدأ بألم وتنتهي بألم.

ولا شك أن الحديث عن معايشة الموت يعد أمرا متلازما مع واقع الإنسان لكون الموت لصيق بالحياة، ولذلك فلا زمن معين، ولا مكان محدد له " هذا الموت الذي زارني مبكرا غدا يسكن مخيلتي حينما كنت مغروساً في راعي القبضة تغطي رأس الحاسر مظلة من لهيب الشمس الحارقة؛ فيتنامى في داخلي ظمأ الخبوت الخالية"[٢٠].

وصورة الموت تتعدى اللحظة الأولية لنزعاته، لتصل الصورة في رواية " الموت يمر من هنا " لتشمل مراحل نقل الجنازة والدفن " كانوا يتناقلون جنازته وأنا أسير ذابلاً..مطأطأ الرأس ولهيب الخواطر يجتاحني..سأدفن أبي وأعود حاملاً خنجري الصغير الذي أهداني إياه أبي يوم ختاني، وأغرسه في كرش السوادي"[٢١].

إن إشكالية صورة الموت وتجلياته ترتبط بمراحل معينة في حياة الروائي، وهي تعكس بشكل أو بآخر نمط الحياة في البيئة الخليجية " فالموت له قدسية لا يحق لنا تعكيرها في لحظة حداد وقفها أمام أموات، كأن قطعة من لحمه تندلق على الأرض، وقطرات من دمه تذكر أن الحياة أرجوحة صبي، فيها من التأرجح ما تختل أمامها الثوابت. فقام وحفر لأبيه في وسط البيت قبرا، وأوسع له فيه، ودفنه، وأخذ يصلي عليه، ودعا له بالرحمة إلى أن تجرأت الشمس على المشرق، وبدأت تتبدى مرسلة إشعاعاً ضعيف الإنارة. الحياة ألم وألم، الحياة تبدأ بألم وتنتهي بألم"[٢٢].

ويرسم علوان السهيمي مفارقة حادة، بين حياة الإنسان، الذي يغيب بلا رجعه، وحياة الطبيعة (الشمس)، التي تغيب لتشرق من جديد، وهذا بلا شك يفسر تكرار تصوير معايشة الروائيين الخليجيين لموت الأب المتسمة، بالتفائل تارة، والتشاؤم تارة أخرى لتؤكد انَ الموت لصيق بالحياة، فلا زمن معين، ولا مكان محدد له.

حتى الموت يأخذ صورة الاحتفاء والتقديس، فيؤكد " خال "على أن تخليد الموت يتمثل في صورة الاحتفاء بالقبور، لكونها تضم بداخلها الأحباب والأقارب والأصحاب ؛ فهو يتذكر مغادرته قبر أبيه " غادرت قبر أبي بعد أن غرست على قبره أشجارا صغيرة اجتثثتها من الوادي، وأحطت قبره بحجارة بيضاء... هذا اللون الذي يذكرني بقبة أبي قبضة... كنت في داخلي أتمنى أن أبني على قبر أبي قبة تضاهي تلك القبة الرخامية المقدسة " (٢٣).

وفقدان الأب هو فقدان لامتداد الحياة في المجتمع ، ففي رواية الكاتبة العُمانية فاطمة الشيدي " حفلة الموت " توضح أن موت والدها جعل كل شيء حولها يموت ويفنى " نعم الموت لم يدخر لي شيئا، سرق مني كل شيء، لم يهمل أبي حتى أرزق أخا واحدا على الأقل " (٢٤).

(ب) موت الأم

تعد الأم نبض الحنان الذي لا ينضب،ومصدر الحب والعطف والحنين ،وهي الحضن الذي يستقبل المرء أول لحظة في هذه الحياة ،وهي ذات قرب من القلب والتصاق بالروح، وموت الأم في الرواية الخليجية مثل صورة نمطية لعظمة الفقد، وأنها الوطن والملاذ، وهي العمود الفقري للأسرة ؛ ففي رواية " رائحة البحر " للروائي الكويتي " طالب الرفاعي " يمثل لنا من خلال تقنية " المونولوج " مع والدته، ويصور الصراع الذاتي تجاه التخييل لما قد يحدث بعد الموت من أهوال وأحداث " كانت الظلمة والصمت والرهبة تخيم على المكان. لا شيء سوى حفيف الشجر ورائحة الموتى، ووحشة المكان... دار بي السؤال :

كيف يكون حال " أمي فاطمة " الآن ؟

فكرت أترجل من سيارتي أتسلق السور...أتمشى بين القبور المظلمة باحثا عن جدتي فاطمة. لكن شيئا صدني، سمّرني لمقعد سيارتي. فأدرت المحرك راجعا،ودون أن أدري إلى أين !" (٢٥).

ولقد انبثق من خلال رؤية الروائيين الخليجيين لطبيعة التجربة المتمخضة عن فقدهم للأم، صور ترتبط معظمها بشعورهم بعدم الاستقرار والأمان لتغدوا حياتهم في الواقع محاطة بهواجس الخوف والتوجس، ولقد رسّخت هذه الصورة من الفقد مشاهد الموت في الماضي، ووضحت كيف يتوقف الزمن عندما تنتهي الحياة وتتلاشى شيئا فشيئا في وجود الناس ؛ فمكونات المكان وإيحاءاته ولدت إحساسا طاغيا بفقد الأم، ووضحت الهزيمة النفسية أمام الموت، والانكسار الشعوري تجاه البقاء من خلال استعراض قيم الصدق والكذب تجاه عالمي الحياة والموت.

الخوف والموت متلازمان ؛ لذلك عندما نتحدث عن الموت نجد أنه في الغالب يكون " إن الخوف يصور الأشياء على غير حقيقتها، ويهيء للخائفين أشكالا لم يألفوها في واقعهم؛ لأن الخوف يثير الخيال، والخيال يستحضر مخزوناته، ويوالف بين مفردات منها، فيظهر صورا لم تكن قد رئيت من قبل، ولا عرفت... وهذا هو التخييل الذي يثيره الخوف والانفعال "(٢٦).

وفقد الأم هو فقد مؤثر تفاعل معه كتاب الرواية، وصور بعضهم من خلاله انطلاق مشاعرهم نحو الحياة عند فقد الأم، حتى كأنه فقد للعالم كله، وانتهاء لقيم الحب والحنان في العالم ؛ إذ تتبعثر الأحاسيس ويتشوه العالم بعدها ؛ ففي مقطع من رواية " من أي شيء خلقت " للكاتبة الإماراتية " ميثاء المهيري" تصف وجود الأم بأنه شيء يبعث بالأمان في الحياة " أتجه نحو قبر والدتي لأبلل قبرها بدموعي : أمي، لقد اشتقت إليك. هل من مكان في الأسفل ؟ أعرف أن المكان ضيق في الداخل، ولكن قلبك الفسيح سيحتمل وجودي حتما. أماه، زوريني بأحلامي ؛ فالأحلام كل ما تبقى لدي"(٢٧).

وموت الأم في المقطع السابق عزز الشعور بالفزع والخوف ؛ فبعد أن فقدوا مرفأ الأمان وانتهت قيم الحب والحنان من عالمهم، ثم إنَ الخوف من الواقع المحكوم بفقد الأم قد دفعهم إلى اللجوء لعالم الأحلام حيث يتحررون من خوفهم وفزعهم على أرض الواقع، الذي خلفته تجربتهم لفقدهم للام، حيث يتخلصون من هزيمتهم النفسية أمام الموت.

(ج) موت الابن

تشكل تجربة موت الابن مكونا مهما من المكونات الأساسية التي وظفها الروائي الخليجي أثناء محاولته تصوير الأثر الذي تركه الموت على الحياة الإنسانية، خاصة على حياة الأم التي تستمد أنفاس الحياة من وجود الأبناء إلى جوارها.

ومن ذلك ما جاء في رواية " عائشة تنزل إلى العالم السفلي " للكاتبة الكويتية " بثنية العيسى " وعلى الرغم من أن ثيمة الموت حاضرة من عنوان الرواية حتى آخر مشهد فيها ؛ فلقد جاءت هذه الرواية لتعبير عن انكسار نفسي لفقد أُم تدعى " عائشة " لابنها " عزيز "، وهي ترى أنها تنزل إلى العالم السفلي شيئا فشيئا، ولم يعد هناك شيء يغريها بالبقاء في هذه الحياة، لا زوج، ولا أهل، ولا حتى أن تفكر بأن تنجب طفلا من جديد.

وتزداد هذه الملحمة(اللحاق /واللقاء) المرسومة بداخل فضاءات تجربة موت الابن ، حدة، بتوظيف الكاتبة لشخصية دينية عانت موت أعز ابن من أبنائها: سيدنا يعقوب عليه السلام الذي فقد ابنه يوسف عليه السلام، حيث زجه إخوته في عمق البئر وعادوا بقميصه الممزوج بدم كذب، فبكاه حتى ابيضت عيناه فتقول:" بكيتك الليلة كما أبكيك أبدا، كما سأبكيك سرمدا، رحيلك فاح، ووجهك يا ولدي بصفرة المرض، وهزال العافية، يلاحقني وألاحقه، ولكني لا أدركه... " (٢٨).

وتتسع مساحة المونولوج مع ابنها الميت حيث لا تزال ذكراه حاضرة في وجدانها في كل ذكرى لوفاة ابنها " بعد ستة أيام سيكون قد مضى عليك أربع سنوات في الموت، وخمسة في الحياة، وسأكون أنا قد مت لأجلك مرة أخرى، وربما هذه المرة سأتلامس معك في غياهب الظلمة،سأعثر عليك ولن أعود.إن مجرد التفكير بك يجعل موتي أكثر إغراءً ؛ فهذا العالم نتن ياولدي، وزمنه رديء، وأنا أستوحش في غيابك، ورائحتك آخذة في بالتبدد من قميصك يا حبيبي " (٢٩).

إن إدراك الكاتبة لحتمية الموت ولعدم جدوى مقاومتها، واسترجاع ابنها مره أخرى إلى أرض الواقع، تجعلها تندفع نحو التفكير باللحاق به، وتقبل بعدم عودتها.

ولقد تجاوزت صورة الموت الصورة العادية المباشرة، حيث كانت لدى الكاتبة (بثينة العيسى) صورة فلسفية معمقة ممتدة الرؤى والصور من خلال تصورات ذاتية مختلفة لفكرة الموت. " يقال بأن الموت لغة هو السكون، لا يمكن أن يكون السكون شرا، كل الفلسفات الوضعية تبحث عن السكون، الطاوية والبوذية والهندوسية، كلها تمجد السكون، وتقدس اللا فعل، اللا حركة، السكون هو أكثر شيء أريده"(٣٠).

وفي المقطع السابق تتبدى الحقيقة أمام عينيّ الكاتبة حين تعجز عن تحقيق ملحمة اللحاق بابنها، والتي رسمتها معتمدة على الفعل الأسطوري تارة (نزول عشتار ولقائها بتموز)، والفعل الديني تارة أخرى (لقاء سيدنا يعقوب بسيدنا يوسف)، فتستكين وتهدأ، وتبدأ بتقبل الواقع ؛ فلا إرادة أمام حتمية الموت، وما عليها إلا انتظار الموت حتى تلتقي بابنها.

وصورة الموت ذات البعد الحقيقي في الرواية الخليجية تجعل القارئ ينتقل من العالم الخيالي إلى العالم الواقعي، ومن العالم المتخيل إلى الواقع مرة أخرى، حيث يبدأ القارئ في تمثل الصورة، وكيف أن هذه النهايات الروائية ما هي إلا عالم موازٍ لعالمه الواقعي الذي لا يبتعد عن هذه النهايات المحتومة.

ولم تغفل الروايات الخليجية في أن للحياة أوجهاً متعددة، لكن الموت له حقيقة واحدة ووجه واحد "تتعاور السرد رؤية الحياة بتعدديتها، ورؤية الموت بواحديته ؛ فتتجلى رؤية الحياة بتعدديات الحوار، والهروب بالذاكرة نحو منطقة الطفولة، وسردها وتسريد الحوار فيها، ويستعمل لذلك اللهجات المتعددة الفصيحة والعامية التي تضفي حيوية على السرد بصنع التعدد الحواري بين اللغات ومتكلميها ورؤياتهم المتضادة"(٣١).

إذن فالموت في الرواية الخليجية يأتي مؤازرة للواقع،و مركزا على البعد التاريخي والاجتماعي للوقائع، وإبراز عالمي التناقض والصراع الذي تعيشه المجتمعات العربية بشكل عام، والخليجية بشكل خاص لأجل الحياة، على الرغم من أن جدلية الموت والحياة تثير قلقاً في نصوص الروائيين الخليجيين من خلال حشد العلائق المتتابعة التي لا يمكننا فصل بعضها عن بعض.

ثانياً : البعد الرمزي للموت

استخدم الروائي الخليجي ثيمة الموت للتعبير بها رمزياً عن بعض القضايا الاجتماعية والإنسانية مصوراً الانكسارات والاحباطات النفسية والعاطفية ؛ فتجربة الموت في الرواية الخليجية تتخطى الموت الحقيقي، وهي "... لا تعنى الانتقال إلى العالم الآخر فحسب، أي الاندثار والانقراض فقط، بل إنها قد تعني الانبعاث من جديد أيضاً، بمعنى استعادة قوى الحياة والصمود والتحدي، واستحضار أسباب مواجهة الموت والفناء "(٣٢).

برز شعور الاغتراب عن المجتمع والمصير المجهول في الحديث عن الموت، وهو الذي يجعل الإنسان يفقد إيمانه بالدين و بالناس وبكل نظريات العلوم والمعارف حتى يصبح كائنا يائسا ومهشماً ينتظر الموت بعد أن تضاعفت عليه علامات السقوط والضياع والانهيار.

وظهرت رمزية الموت في البحث عن المجهول في الرواية الخليجية، وتعددت أبعاد هذه الرمزية إلى عدة أبعاد ؛ منها :

(أ) البُعد الديني

إن رؤية الكاتب الروائي الخليجي للموت كانت رؤية عميقة، مدركاً فيها البعد الإيماني لفكرة الموت والفناء، وأن الحياة هي عبارة عن طريق محفوف بالموت، وكل الطرق تؤدي إليه، حتى تلونت الحياة بلون الموت. " لون الحياة أسود مشع، ومعناها الوحيد هو الموت. بمجرد ما أدركت ذلك، أعني: لون الحياة ومعناها، صار جسدي يستجيب لحقيقته الوحيدة: حقيقة الفناء، وصار بوسعي أن أموت، وأن أعود، أن أتأرجح بين العالمين: عالم الغيب والشهادة، وكأني محكوم علي بالتردد الأبدي بينهما، معلقة بخطاطيف ألمي، في برزخ لا ينتهي أو يكاد"(٣٣).

غير أن الرواية الخليجية وضحت بعض الأفكار المنحرفة، ومن ذلك إرهاب بعض الجماعات الدينية المتطرفة ؛ فرؤية هؤلاء الإرهابيين هي أن الموت يخلق حياة أخرى أبدية لا تأتي إلا بأن ينتحر الإنسان، ويقتل الناس معه. ومن ذلك ما جاء في رواية " ريح الجنة "

للكاتب السعودي تركي الحمد، والتي عرضت كيف يحرص الإنسان على أن يقتل الناس أفرادا وجماعات في سبيل البحث عن حياة أخرى له، ومحاولة تمزيقه وتفتيته بموجب رؤى واعتقادت فكرية مشوهة، تعرض لصراع فكري يعرض أفكار المتشددين الذين يرون الموت وقتل الناس الآمنين سبيلا لحياة أخرى ففي رواية "ريح الجنة "يصبح الموت حياة أخرى؛ أي طلب الحياة بالموت " كان الجميع في المجموعات الأربع يعلمون بشكل ما أنهم سيقومون بعملية استشهادية، وإن لم يعلموا كنهها.فمنذ أن صورت وصاياهم على أشرطة فيديو في (قندهار)، أدركوا أنهم مقبلون على الموت، وكان ذلك منتهى أملهم، فقد سئموا الحياة الدنيا، ويريدون الجنة بأسرع وقت ممكن"[٣٤].

إن فهم طبيعة الموت وما يتبعه من مشاهد كان حاضرا في ذهنية الروائي الخليجي؛ وذلك لم تغب عنه مشاهد الموت اليومية،ولا نكاد نعثر في رواية " الموت "إلا على شخصيات تتعايش معه بانكسار وخضوع وتصديق وإيمان، وتجاوز الكاتب الروائي الصورة الشكلية للموت، أو باختصار الصورة المعهودة له.

الحديث عن " الموت " في الرواية الخليجية، واستشراف أبعاد الرؤية، وفحص هذه الروايات التي تناولت الموت هي محاولة حقيقية لمعرفة مالذي حرك السكون في أعماق هؤلاء الروائيين والروائيات تجاه الموت والفناء، على الرغم من تنوع الرؤى وخصوبتها، وذلك بحسب الحالات والمشاهد المختلفة.

ويمكن القول بأن الروائي الخليجي لديه فرط من الإحساس بالإحباط والخوف والقلق واليأس، وتلك هي بواعث فكرة الموت في الرواية الخليجية ؛ لذلك جاءت الكثير من الروايات مليئة بصور الانكسار والخذلان والهزيمة.

واستخدام بعض مكونات الموت للدلالة على البحث عن الحياة الأخرى من مثل : " القبر" بظلمته ووحشته هو انعكاس للروح اليائسة والعطشى والتي تتوق إلى النجاة " كنت أول من نزل إلى القبر، وكنت أعرف أني فور خروجي سأجد اليتم بانتظاري مرتديا فستان الزفاف يقف بين الوحدة والحزن هناك بين جمع المعزين "[٣٥].

وفي رواية الكاتب القطري " جاسم سلمان "يصور الحياة بأنها أشمل وأوسع من الموت الذي يضيق عن نفسه، ويؤكد بأننا لا نفهم الحياة كما ينبغي لذلك نموت أكثر من أن نعيش " هكذا هي الحياة... مملوءة بالموت، ونحن ممتلئون بها، ولكننا نعتزلها في أول صدفة ألم عميق بعزلة وانزواء داخل الروح أو خارجها، ولو كنا في وسط الزحام...هي التي تحبنا ونموت فيها، ولربما هذا السبب لا تحبنا"[٣٦].

ولم تغفل الرواية الخليجية في طرح سؤال الحياة والموت وجدليتهما في وجود الإنسان عدمه، لكن هذه الأسئلة كانت أسئلة مبهمة بلا إجابات، أسئلة مفتوحة تطرح رؤى للقارئ، وأفكارا واسعة، ومثل ذلك ما جاء في رواية " الموت يمر من هنا " حيث يرى الكاتب أننا نعد لا شيء يذكر في هذه الحياة، ونحن نموت دون أن نفهم الحياة، وندرك كنهها " هذه الحياة سؤال كبير جدا، ونحن نقف ضئيلة من هذا السؤال الضخم، نعبر أنفسنا دون أن نتمكن من إجابته كلما ألح علينا "[٣٧].

(ب) البُعد الفكري

أصبح الموت ملهما لكتّاب الرواية من خلال استعراض مشاهد الحياة، ومحاولة ربطها بالموت الذي يرونه أنه أساس الحياة ومنبعها، إذ أصبح الموت - حسب رؤيتهم - أساس الاختراعات والابتكارات وهو النطفة التي تتشكل منها كل مكونات الحياة وعجائبها

" نحن ندين للموت بكل اختراع علمي، وشذرة فلسفية، ورواية جميلة، وأغنية شجية. ندين للموت بالكهرباء، ووحدات التكييف،ومدينة أفلاطون، وروايات دويستوفيسكي، وجدارية درويش.. لا معنى للحياة بدون نصفها السفلي، بدون قوة العدم القاهرة... " (٣٨).

ونجد أنفسنا أمام هذه الحشد من الصور عن معجم الموت الذي يجعلنا نستحضر الغرابة والعجائبية نحو توالي هذه الصور وازدحامها، وبهذا القدر من الحضور يحضر الموت في كتابات هؤلاء الروائيين، في حين تختفي الحياة ومشاهدها الحية التي تبدو أكثر جماداً من الموت الذي أصبح أكثر شغبا وحركة وإثارة.

وتبلغ الدهشة في كتابات الروائيين الخليجيين عن الموت حينما تصبح هذه الدهشة رؤية فحواها أن الحياة إنما هي عبارة عن كمين كبير معد بإحكام ليبتلع أمنياتنا وأحلامنا دون أن يستأذننا في شيء، وكأن الحياة في نظر هؤلاء الروائيين هي طعم وجدت لنسقط فيها بخطايانا وذنوبنا " أن تكون الحياة فخاً، هذا ما كنا نعرفه دوما:فقط ولدنا دون أن نطلب ذلك، حبيسي جسد لم نختره، ومعدّين للموت أخيرا.وبالمقابل يهيئ لنا فضاء العالم إمكانية دائمة للخلاص " (٣٩).

وفي رواية الكاتبة الإماراتية " لولوه المنصوري " تضع تساؤلات عميقة عن سجلات الموت مقارنة بالحياة " هكذا هو فعل الموت بدا اعتياديا، لا نعرف كم بات التعداد السكني لباطني الأرض في سجلات عزرائيل ! " (٤٠).

المقطع السابق يحمل عدداً من التساؤلات المهمة حول الوجود للإنسان، وتتفجر هذه الأسئلة حين تعلن أن الحياة لا قيمة لها دون الموت، والجدة في هذه الأسئلة المتوالية في أنها تعبر عن أغوار النفس، وما يعتريها من أحلام وطموحات وأمنيات تحتضر في حضرة الموت الذي يختطف الحياة كاملة دون أن يلقي لنا بالا.

وفي مقطع آخر من رواية " آخر نساء لنجة " تريد أن تجعل للموت حفلة مميزة " تشبه نا في الحياة والموت والذاكرة. أريد لموتي أن يكون مُذنباً فاقعاً بالألوان القزحية الباردة، أن يسقط على مهل في كبد السماء لأغرف من متعة السقوط عرسي، والكثير من الملاهي التي سأنثرها على قلوب أطفال الأرض الذين ما جربوا ضحكة التكوين في رحمي، ومتعة الدم من مشيمتي المغذية للاخضرار" (٤١).

والرؤية الصادمة لفكرة الموت، وأنه لصيق بالحزن والألم والفراق قد تغيرت ؛ وتمثلت بصورة واضحة في رواية " عائشة تنزل إلى العالم السفلي " حيث ترى الكاتبة على لسان بطلها أن الموت منقذ لها من الحياة، حتى أخذ وصفها للموت ملمحا احتفاليا مبالغا فيه وصل عندها إلى حالة من العشق والشوق والترقب، "سأمعن في مديح الموت، بحكم أنني، ولاسيما في السنة الأخيرة من حياتي، أوغلت في التأمل في كل ما يخصه، حتى صرت متخصصة في شئون التناهي، والفناء، والانقراض، والانتحار، وأساليب الدفن القديمة، ومشتاق الموت الأخرى "(٤٢).

وبرزت العاطفة الوجدانية في هذه الرواية ؛ إذ إنها غلفت الكاتبة هذه الصور بالطابع الوجداني العاطفي، والموازنة بين عالمي الحياة والموت، ورصد معالمهما، واستحضار أشيائهما الخاصة، دون إغفال لمظاهر الحياة التي تندمج وتنغرس في صورة الموت حتى تذوب فيه.

وتتابع الصور حتى تبلغ صورة الدهشة والغرابة عند الكاتبة ذروتها حين ترى أن الموت أكثر شفافية ووضوحا وبساطة ويسراً من أي مشهد آخر في الحياة؛ فتقول في ذلك " الموت واضح، والحياة ملتبسة، الموت بسيط، الحياة معقدة، الموت عالم غريب يفتن الصغار، والحياة عالم مخيف يرعب الكبار " (٤٣).

ورغم أن التصوير في روايات الموت انحسر في صور ومشاهد مألوفة، غير أنهم حرصوا على النزوع نحو الطابع الوجداني، واستنطاق مكنونات النفس في صور تأملية هادئة، و لم يهملوا الجوانب الفنية لإبراز الموت وتبعاته.

وتبرز الدهشة بشكل واضح من ثيمة الموث في عناوين بعض الروايات الخليجية من مثل رواية " الموت يمر من هنا " للكاتب السعودي عبده خال، ورواية " عائشة تنزل إلى العالم السفلي " للكاتبة الكويتية بثينة العيسى، ورواية " حفلة للموت " للكاتبة العمانية فاطمة الشيدي، ولا شك في " أن حضور الموت نتيجة طبيعية للصورة الوصفية السكونية التي رسمتها البداية من خلال إيحاءات المكان المقفر من أشكال الحياة، حيث يتكرر الموت في مواضع عدة... " (٤٤)

ونلاحظ من خلال تقديم " عائشة " لفكرة الموت تركيزها على إبراز القيم الفلسفية والمناقضة للواقع البشري في تقبل الموت مع إيمانه به،ولعل ذلك جعل الكاتبة تفرد مساحة من التدفق الشعوري الداخلي، ويبرز ذلك في مفارقتها عندما قالت : " سأمعن في مديح الموت. فضائلك كثيرة يا مولانا، فأنت تفسح المجال للآتين، تهبهم المساحات عندما تضيق الأرض على العالمين، فأنت تصنع من لحومنا أرضاً،ومن ترابنا يغتذي الزرع، ومن الزرع تغتذى البهائم، ومن البهائم والزرع معاً يغتذي الإنسان.. أنت الجندي المجهول الذي ما فتئ يخدم البشرية بإخلاص، وما فتئت البشرية تتنكر لجهوده وتمعن في بغضه " (٤٥).

وفي ضوء ما سبق يتضح لنا أن فكرة الموت في الرواية غدت لدى بعض كتاب الرواية فكرة ضرورية في نصوصهم كما هي فكرة الحياة، فإذا كان هناك وجود، فإن هناك - أيضا - فناءً وعدماً، وفي المقطع السابق أوغلت الكاتبة في التقاط المشاهد الدقيقة للحظات الموت، وقارنت بين الصورة الحية المشاهدة، وبين الصورة العميقة، وربطت صورة الموت بصور الظلم والألم والقهر.

أما في رواية " منامات " للكاتبة العُمانية " جوخة الحارثي فإن الموت هو " الدهشة " أو الشيء غير المتخيل، والمستفز للتفاعل مع غرابته حيث تصف الموت بأنه هو الشيء المدهش والذي يستفزنا للحديث عنه في كل مرة بشيء من الطرافة والجدة. " لا، لن أدهش، الموت هو الشيء الوحيد الذي يمكننا قول أي شيء عنه دون أن يدهشنا ذلك"(٤٦)

وتعقد " خوجة الحارثي " مقارنة بين الموت والحياة حيث ترى أنه لا اختلاف بين طقوس الموت والحياة؛ فكلاهما يتشابهان في الانغلاق " أليست الحياة كذلك أيضاً ؟ ماذا يتغير في الأمر؟ إن عشنا طويلا أو قصيرا على هذه الأرض السجانة، مكبلين بأعتى قيود الاحتياج الصارم للحب، والانتظار من الآخرين..."(٤٧).

إنّ الكاتبة في المقطع السابق تركز على درجة العلاقة بينها وبين النص ولحظات الشعور التي تعيشها في تصوير لحظات الموت من خلال تعميق المواقف واتساع أبعادها، والانغماس في المشاهد النفسية لماض ملوث، وحاضر مرتبك، ومستقبل مجهول.

وعرض " علوان " في رواية " صوفيا " إلى أن الموت هو الحقيقة التي نخضع لها جميعا، ونؤمن بها ونصدقها، وكل ما في الحياة يؤدي بنا إلى النهاية الحتمية، وهي الموت. " وتلك الورقة المعلقة فوق سريرها، شهادة الموت، لماذا جاءت صادقة إلى هذا الحد ؟! بين ملايين الأوراق الكاذبة التي تطبع في الوطن ! لماذا الموت وحده هو أصدق الصادقين عندنا، بينما الحياة كلها مجرد مشروع بهتان كبير، يلفنا من أول الطريق إلى آخره ! " (٤٨).

فالمشهد السابق يفصح عن الاتجاهات الفكرية المتضاربة، وعن مظاهر التشويش التي عمت مناحي الحياة، فهذه الصورة تتعانق مع الحوارات الدامية، والتقارير الطبية، والشائعات، والأطروحات العلمية، وكذلك تتكرر نغمات الألم لمصارعة الموت ومعايشته، يكشف عن فراغ الشخصية، وعجزها على أن تعبر عن مكونات الحياة بكل تناقضاتها واختلافها ؛ فالموت هنا ليس مفارقة الروح للجسد بقدر ما هو موت إنسانيتها، ودمار دواخلها التي كانت تنبض بالحياة.

ويتضح أن الإحساس بالفناء والموت في ظروف " صوفيا " في المقطع السابق عمقه الكاتب بالحس الزمني من حيث إنه لم يتبق على موتها سوى أيام قليلة، وأنها عجزت عن تحقيق أحلامها، ثم بدأ يسترسل في وصف ما كنت تحلم بأن تحققها في حياتها القصيرة.

وعرضت الرواية الخليجية في الكثير من الصور في قضية الموت لصراع الإنسان مع المرض وانتهاء بحصول الموت، وعبرت بدقة عن هذه الصراعات التي يلقاها الإنسان حتى يموت ؛ ففي رواية " صوفيا " فصّل الكاتب " محمد علوان " في مصارع الموت وطرقه التي يحدث بها على مستوى جميع المواقف والأحداث التي يمكن أن يحدث بها الموت برؤية فلسفية، فقال : " ملاك يموت في سقوط ثمرة، وآخر يموت في المنطقة المسحوقة بين جبين وسجدة، والذي يقضي تحت الخطى الساعية نحو شأن حميد، وبين جناحي فراشة أغلقتهما عليه، وفي الشفاه إذا التقت أول مرة، وفي الدموع التي تنزل بقدر، ولربما ماتوا ميتاتٍ جماعية في ضحكات الجبال، وارتعاش الأوتار، واشتعال الفجر، وعثرات الأطفال، وكل حركة مسرحية كونية نصفق لها شجناً، ولا ندرك أن وراءها حتما، موتا لا ئقا بملاك " (٤٩).

ج ـ البُعد الاجتماعي

أدت ظروف الحياة ومتغيراتها المتسارعة في حياة الإنسان العربي عامة، والخليجي خاصة - في أحيان كثيرة - إلى انهزامه داخلياً ونفسياً أمام المصاعب حتى أنه يتمنى الموت، وسبب ذلك" إن إحساس الإنسان بأن الحياة لم تعد تتصف بالكرامة الذاتية، يعني الخروج الاضطراري عن الجوهر الإنساني، ومن ثم يفقد مقاومته بصورة تدريجية، ويصبح محصوراً في مأزق حرج، أغفلت عليه في جميع المنافذ"(٥٠).

وأخذ الروائي الخليجي على عاتقه الانطلاق من مشاهد الحياة اليومية وتصوير رتابتها لعرض تنامي فكرة الموت في حياة الناس. " في كل الأزمان تكون الحياة بنفس الطابع، لكن الطقوس تختلف، وفي كل الأمكنة تتوغل في أعماق الناس نفس الأفكار، لكنها بلكنة مغايرة، العالم بأكمله بحيرة صغيرة جدا، يعيش فيها البشر متحاشرين، والحياة تتجدد بموت كل أمة في هذه البحيرة من تحاشرهم، ليخلق خلق آخرون يعاودون التحاشر مرة أخرى"(٥١).

إن تركيبة نصوص الموت تأثرت بظروف الحياة المتسارعة في الخليج، حيث شمل التطور جميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وهذا مدعاة للتثبت بالحياة، وليس الهرو ب إلى الموت، إلا أنه مع ذلك ظهر نغماً من البؤس والكدر والضيق على كل ما يعتري الحياة من انهيار في المبادئ والقيم.

ولجوء الإنسان إلى طلب الموت هو لجوء اليائس من الحياة، وهذا يثبت " إنها مأساة الإنسان الذي يمارس وجوده وجوداً نازعاً نحو الموت، وقد أدى هذا التواصل إلى المضي حتى العدم بالموقف، إلى أن تصبح موقفاً مشحوناً بالقلق والحزن، وموصلاً في النهاية إلى السقوط " (٥٢).

وضح بشكل كبير أن من أصعب المشاعر التي تنغص على الروائي العربي الخليجي هو الإحساس بالفشل والإحباط، نتيجة عجزه عن تحقيق أهدافه التي يصبو إليها. فتبدو الحياة سوداء، في نظرهم، ولا سبيل إلى فهمها، في حين يظهر الموت عندهم واضحا، غير ملتبس ويمكننا تعليل الأسباب التي تدفع بالروائيين الخليجيين إلى الشعور بالفشل إلى سببين أساسيين:

١- التفكير السلبي الذي قد يطغى على فكرهم، فيجعلهم يشعرون أنهم محاطون بالفشل، ولا سبيل للانفكاك منه يقول سلمان جاسم في روايته (غرباء في الرمادي) : "هكذا هي

الحياة مملوءة بالموت، ونحن ممتلئون بها، ولكننا نعتزلها في أول صدفة ألم عميق بعزلة وانزواء داخل الروح أو خارجها، ولو كنا في وسط الزحام، هي التي تحبنا ونموت فيها، ولربما لهذا السبب لا تحبنا"

لقد صبغ الكاتب نصه هذا بالحالة النفسية التي يمر بها، هذه الحالة التي حملت تفكيرا سلبيا بالحياة، حيث نجده ينظر إليها بجملتها بمنظار أسود.

٢- إسقاط الفشل على الآخرين، الذين تسببوا في هزيمته وانزوائه على نفسه (لطالما تمنيت أن أهرب من وحدتي إلى الموت الذي كان أبعد من الخيال)

إن الموت هنا هو وسيلة الكاتب لحماية ذاته من أية انتكاسة أخرى، وهو الوسيلة التي ينفلت فيها من كل سلطة، حتى سلطة الموت ذاتها....."لأنه ما من حياة أعترض عليها بعد رحيل أمي وأبي...."هكذا يتبدّى لنا السبب الرئيس في شعوره بالفشل الذي يكمن في موت والديه، وتركهما له وحيدا يتعثر بحجارة الفشل واليأس "مامن حياة أعترض عليها"

تجسدت صور الفشل في الحياة وطلب الموت في الرواية الخليجية بشكل كبير، ومن ذلك ما جاء في رواية "ساق البامبو "حينما كان الفشل باعثا للموت، كان قبلها حائلا عن تحقيق الأحلام، وصادما للواقع؛ ليكون الموت ترجمة لهذا الفشل حيث لا يوجد هناك قوة توقف الموت عندما يأتي فهو يختطف البهجة والحياة معاً." الموت ذاته يقف عاجزاً أمام الأمل في اللقاء، وإن كان لقاء من نوع آخر، في عالم آخر،ليس وفاؤنا للأموات سوى أمل في لقائهم وإيمان بأنهم في مكان ما،ينظرون إلينا...وينتظرون "[٥٣].

وكما نلحظ أن المشكلة التي كان يعرضها الروائيون الخليجيون ليست في مواجهة الموت؛ لأنهم مؤمنون به تماما، بل المشكلة هي في الانكسارات والاحباطات التي تسبقه، وتكون باعثة له " وهكذا تعرت الأشياء من حولها، وتكشفت بواعث الحزن ومسببات السقوط؛ فليس الموت الفيزيقي وحده هو المشكلة، بل إن هناك روتينية الحياة وتفاهتها، وانعدام الأمان، وممارسة الحياة بلا جدوى وبدون أمل والإحساس بالعزلة الحادة التي تجعل كل شيء يبدو غريباً معادياً " [٥٤]

إن فقدان التوازن في قيم مجتمع أو في المحيط القريب منه يجعل مقومات من الحياة مختلة؛ فينتشر الإحساس بالظلم، وذم الزمان، والشعور بالعجز والخذلان؛ فالإسقاطات في رواية الموت تخرج من أضيق التعبيرات والصور إلى معان عميقة تعيد تشكيل مسارات الحياة وخياراتها الضيقة.

ويمتد تصوير مراحل الفشل في الحياة إلى أن كل شيء لم يعد مهما بعد الفشل " لا شيء مهم في الحاضر ؛ ففي الماضي حدث أمر مهم، حيث ولدت ومت، ومن بعثت مرة أخرى، لأعود إلى هذه الحياة، وأنا التي لا أشبهني، لا أشبه تلك الهشة، تلك التي تخفي الكثير من تاريخها خوفا... " [٥٥].

وقد استخدمت " ميثاء المهيري " في المقطع السابق أسطورة عشتار أثناء حديثها عن تجربة الموت، لتدل على انعدام القيم في حياتنا المعاصرة وعلاقتها بالفشل الشخصي، حيث إن غلبة المادة على الروح حولت هذه التجربة من مستواها الشخصي الذاتي إلى مستوى إنساني جوهري. أسطورة عشتار التي عادت إلى الحياة مرة أخرى لتغيير الواقع بما فيه من قهر وقمع واستلاب ؛ لتشكل بديلاً جديداً منه موشى بشفافية النقاء والطهر، والبقاء.

وظهر عند الروائيين الخليجيين تنوع أساليب الهروب وصوره لتجاوز مرارة تجربة الموت، فأعادوا تركيب هذه الصور في شكل يشع ضوءا على الحكاية نفسها، فإذا هي قد تحولت إلى شكل جديد، ومغزى جديد نابعين من الرؤية الفنية والفكرية لهم، تلك الرؤية التي تعتمد على قدراتهم على تحليل الواقع بما فيه من مشكلات إنسانية.

وبعد جمعي لنصوص أغلب كتاب الرواية حول موضوع الموت، وتحليلي لمضامين هذه النصوص وجدت أن الموت كانت نتيجة مرعبة حيناً، وحالة لازمة حيناً آخر، وحالة قلق وتأزم وحيرة مرة ثالثة ؛ وكل هذه الحالات تفضي بنا إلى التأكيد بأن الإنسان العربي يعاني من كبت في حياته، ولا مصير له في الإفضاء بهواجسه ومكنونات النفسية دون استشعار الانتهاء أمام هذه الصعوبات والتحديات التي يواجهها.

ثالثاً : خصائص رواية الموت

اتسمت رواية الموت الخليجية بالعديد من الخصائص والسمات الموضوعية التي التصقت بها وميزتها عن كثير من الروايات، ويمكنني أن أحدد بعض الخصائص الفنية والأسلوبية التي تميزت بها فيما يأتي:

(أ) الإسهاب في الوصف :

لقد تميزت الروايات التي تحدثت عن الموت بالوصف المسهب في استعراض لحظاته وتجلياته وأبعاده على الحياة، واستعانت على ذلك بتكثيف وجوده في الشخصيات الروائية وتفاعله مع حدوثه. وفي مقطع آخر رواية " حفلة الموت " تتقاطع ذاكرة الموت مع الخوف الشديد الذي ينتج معه عدم الاستيعاب ثم نزف الروح وخروجها عن سياق الوعي " لم أستوعب ما حدث، الخوف حطم حتى ردة الفعل، حطم حتى الحزن، كنت أبكي في صمت، بلا دموع، وأتضرع للرب يا لله بدد شيئا من هذا الجزع ساعدني كي أبكي، أو أهدأ أو أثور، ساعدني لأغضب لأحطم كل هذا، حرام أن أحيا كل هذا الخوف والجزع حتى آخر العمر، أخرجني من هذا القدر البائس، أريد أن أموت الآن..." (٥٦).

لقد حرص الكتّاب على إبراز المسافة القصيرة بينهم وبين الموت بالكثير من السرد، ومن خلال هذه المساحة السردية الكبيرة التي أفردوها للموت أظهروا دلالاته المتوقعة، وعرضوا لصور من المقاومة له، والصبر على آلامه وسكراته،وكذلك التعايش مع لحظاته الأخيرة ؛ وفي رواية " عائشة تنزل إلى العالم السفلي" تحدثت الكاتبة عن الموت بشكل مختلف كل الاختلاف عن جميع الروايات؛حيث عرضت للموت بعناصر حسية، وجسدت في الكثير من مشاهد الرواية هذه العناصر متفاعلة وفاعلة لتفاصيل الموت حتى بدت مشاهد الرواية مسرحا وكرنفالا احتفاليا للموتى.

إن الكاتب الروائي الخليجي كان يكتب عن الموت بصورة من الحس بالمفارقة للحياة، مصوراً كآبة الواقع، وانهزامية المجتمع وفنائه، و استطاع أن يتجاوز الكاتب الروائي الصورة الشكلية للموت، أو باختصار الصورة المعهودة له إلى تعميق الصورة من خلال تمثلها وتجسيدها وتلبسها، غير أننا نرى أن الحديث عن الموت في جوهره كان يعبر عن قلق وارتباك وعدم استقرار تشعر به الذات الساردة في أغلب الروايات الخليجية إذ كان " يحاول السرد أن يشكل ملجأ آمناً، لتسكن إليه الهوية القلقة، عبر إحكام قبضة الراوي على ذلك التشرذم في الأحداث، الذي نتج عن الهوية القلقة "(٥٧).

ولا نستطيع بشكل دقيق تحديد أهمية الاعتقادات التي تخاطب العقل، وتوجه الأفكار التي تصور الموت إلى تحديد الاختيارات والملاذات العاطفية أو الشعورية التي كان يحاول أن يلجأ إليها الروائي الخليجي حتى تختفي الأماكن والشخوص بحضرته ؛ ففي رواية " الموت يمر من هنا " للكاتب السعودي " عبده خال " يختفي المكان في حضرة الموت رهبة منه وخشية من سطوته، وقدرته على إخفاء الحياة، حيث " حمل لنا العنوان - الموت يمر من هنا - بذرة تغييب المكان وتجهيله، مع ظهور ملامح القتامة والسوداوية، النابعة من رهبة الموت وسطوتها من ناحية، ومن تكرارها من ناحية أخرى، حيث تكرر لفظ الموت مرتين في العنوان محملا بسلطة التفعيل من خلال الابتداء في الأولى، والفاعلية في الثانية"(٥٨).

(ب) الترميز:

جاء "الموت" في الرواية الخليجية بصورة مباشرة رمزاً عن فقد الحب أو فقدان الكرامة، ومن ذلك ما جاء في رواية " غرباء في الرمادي " حيث كان الموت يرمز لأشياء متعددة ولا يقصد بها الموت الحقيقي، بل هو يؤكد على البعد الرمزي للموت الذي يعيشه بفقد الحب أو بفقدان الإنسانية. " عجباً لابن آدم هذا الكائن الشقي يهرب من قدره منذ ولادته بين السنين إلى أن يقع لا محالة به، وبذات الوقت يسوق إلى موت آخر أشد ألماً وتعباً وانتهاكاً لحريته، وجسده، وإحساسه... فيحب " [٥٩].

وتربط الكاتبة " فاطمة الشيدي "بين الموت والحلم في محاولة لصنع فلسفتها حول الموت بصورة رمزية؛ حيث تسترسل في طرح الأسئلة الشائكة حول تعانق الحلم بالموت والحياة في تكاملية " آآآه يا أيها القدر، كيف أفزعت طفولتي وشبابي، وخللت أصابع الموت في شعري وفي حلمي، وفي حلمي، وكيف أهدأ الآن؟ كيف أروض روحي على احتمالات النسيان الأكيدة، كيف أقيد هذا اللهيب في داخلي ؟"[٦٠].

وينتقل حوارها مع الموت إلى شيء من الانفعال وعدم قبول أي اختيار غيره؛ لأنه أصبح منقذا لها من جميع الخيارات الممكنة وغير الممكنة؛ فهي تبكي قدرها الأسود الذي أحالها إلى الموت حتى تقول بأن القدر جعل الموت يدخل إلى يقظتها وحلمها، ولا تستطيع نسيان هذا الواقع المر الذي تسبب في هذا اللهيب الخارجي. "أي مساومة رخيصة تقيمها هنا أيها الموت، أي مصادرة تعلنها علنا ساعة عصابة على عينيك، وتشير إلى الأحياء لتقول: " هذا...وأيا كان هذا، فلا بد أن يذهب لحفلتك الراقصة من بياضك لسوادك، وغرفك المظلمة، تأخذه غير مكترث بالعواء ورائه، لجرأته الجريحة، وجنانه الفاقدة، ما أبشعك أيها الفقد. "[٦١]

وفي المقطع السابق حاولت الكاتبة بواسطة استخدام الرمز أن تحقق قدر كبير من الانسجام مع الموت وأن تعطينا رؤيتها حول ملامحها فيه، وأوضحت محور اهتمامها بتنوع المشاهد والتقنيات المستخدمة لعرض هذه المشاهد من مثل : الحوار الخارجي (ديالوج) والحوار الداخلي (مونولوج).

وفي رواية الكاتبة الإماراتية " ميثاء المهيري " ترمز لفقد الحبيب وابتعاده بالموت؛ فالفشل في العلاقة العاطفية يمثل موتاً للحياة أو انعدام لمظاهر البهجة فيها " الفقد أمر لا طاقة لنا به، لا يمكن تجاوزه مهما حاولنا إقناع أنفسنا بذلك، لا يغادرنا دون أن يدمر جزءاً ولو كان طفيفاً... "[٦٢]

ورؤية الكاتبة " المهيري " بهذه الصورة الرمزية عن الموت توضح استجابة سريعة لتداعياته، ورضوخاً للألم والهزيمة والانكسار وتعبيراً صادقاً عن الفشل الذي يبدأ بعدها التعاطي مع الموت كونه أصبح أقرب من الحياة.

(ج) المفارقة

تنفتح تجربة الموت عند الروائيين الخليجيين على عنصر المفارقة خاصة ما يسمى بمفارقة تجاهل العارف، وهي أن يسأل الإنسان عن ما يعلمه موهما أنه لا يعرفه ،وأنه حتما خالجه فيه الشك والريبة[٦٣].

وبالبحث في العلاقة بين تجاهل العارف والمفارقة نجد أن الباحث (خالد سليمان) ذكر أن مصطلح المفارقة هو أقرب ما يكون من المصطلح الغربي(SocraTic Irony) أيّ المفارقة السقراطية حيث كان " سقراط" يثبت في محاوراته صورة الرجل الذي يدعي الجهل بأشياء لا يفتأ يسأل الآخرين عنها، بهدف إثارة الشكوك لديهم فيما ظلوا يعتقدون به[٦٤].

استخدم الروائي الخليجي تقنية " المفارقة " في تصوير مشاهد الموت ؛ ليعطي هذه الصور تفرادا و تميزاً عن غيرها من الصور المعتادة ؛ ففي مشهد من مشاهد رواية " عائشة تنزل إلى العالم السفلي " تبرز المفارقة عندما تتوسل الأم الموت بأن يأخذ روحها ويقضي عليها ؛ لأ ن الحياة أصبحت لها موتاً، وفي الموت ستلقى حياة أخرى عندهما ستكون قريبة من طفلها " عزيز "، ويأخذ هذا التوسل صيغة رقيقة من الحوار الناعم " أيها الموت أشفعك الآن بدمعي، وبكل نوبة حادة من البكاء اغتالتني من لحظة مولدي حتى الآن، أن تتركني فقط حتى أتم حكايتي عليه، ثم خذني إليه كما تشاء، وإلى أي مكان تشاء، فقد بت أعرف أن لك مسارب كثيرة، ومساحة غير ملعنة غير القبور والسماء" (٦٥).

وفي مشهد آخر من رواية " صوفيا " نجد أن صورة الموت القديمة في ذهنية " صوفيا " تتعالق مع واقعها الحالي الذي يرتبط بالموت،ولكنه بمعرفة تامة بكل أبعاده وآلامه ومعانيه." عندما ماتت أمي وأنا صغيرة كانت جدتي تقول :(أمك ذهبت إلى حفلة؟)،وكنت أرد بذهول (ولكنها ماتت !!)، فتحتضنني تحت السلم الذي انزويت أبكي فيه، وتقول " لا، يا صغيرتي، لقد دعاها الله فوق، وسيقيم لها حفلة مثل كل الطيبين، ألم تكن أمك طيبة؟"(٦٦).

وتبرز المفارقة في العيش مع الموت إلى مغازلته والتغني بمظاهره وأحواله حتى يكاد يتحول عشيقا وحبيبا ملازما لا تكاد تنفك عنه ولا تريد الابتعاد عنه " سأمعن في مديح الموت، إذن سأغازله وأداهنه، سأنبش في جميع كتبي وأستخرج ظهوراته وتجلياته وملابساته، سألاعبه وأداعبه، سأتملى في وجهه، وأتأمل في حكمته، سأجعله أكثر خفة وبساطة "(٦٧).

وتزداد صورة المفارقة حينما يتحول المهرب من الموت إلى الملاذ إليه " لطالما تمنيت أن أهرب من وحدتي إلى الموت الذي كان أبعد من الخيال، وكم دعوت الله في صلاتي أن يغفر لي هذا الطلب ويلبيه. لم أكن معترضا على الحياة على الإطلاق؛ لأنه ما من حياة أعترض عليها بعد رحيل أمي وأبى" (٦٨).

ورسم صورة الموت في النهايات مسألة اعتيادية لأيّ كاتب روائي، وذلك تكراراً لصور نمطية، وتكمن الجدة في هذه الصور عندما يستطيع الكاتب أن يجسد فيها خبرته الفنية ومهارته الإبداعية، وهذا يتطلب منه إحساساً قوياً وعميقاً تندغم معه الأفكار والخيالات بما يتوازى مع شعوره وانفعالاته تجاهه.

إن خلق صور جديدة عن الموت في الرواية الخليجية لا يمكن أن نعزله عن الوعي المسبق للكتاب والكاتبات، و لا عن الأفكار المستمدة من ذاكرة الحياة المتجددة؛ إذ أن الموت في كثير من الروايات الخليجية لا يتزامن مع رغبة الحياة، وبذلك تحاول الرواية أن تقدم لنا إجابات صريحة ومباشرة أحياناً، وإجابات مضمرة وغير مباشرة أحيانا أخرى عن الكثير من المشكلات في الواقع وتعقيداته بواسطة ثيمة الموت.

وختاماً نتوصل إلى أن للموت في الرواية الخليجية صورا متعددة اكتسبت خصائصها وتميزها من هموم الحياة المختلفة سواء في فقد الحبيب أو الفشل أو المرض، وقد جاءت هذه الصور أيضا مقاربة في أبعادها للمأثورات الدينية؛ إذ تنطلق من إيمان ديني، وأنه هو النهاية الحتمية، وأن التوقف عن الحركة والحياة هي نهاية مرتقبة لكل إنسان، غير أن ما يلفت الانتباه في الرواية الخليجية التي عرضت لصورة الموت هي الصور الجديدة والأدوات الفنية التي عبرت عن الموت، كذلك تعدد الوسائل التعبيرية المستخدمة؛ إذ جاءت منبثقة من الحياة؛ لتقذف بنا خارج حدود إدراك العالم، والوعي بمشكلاته وتعقيداته.

غير أن الرواية الخليجية تميزت في تعاطيها مع الموت بالأمور الآتية :

- استطاعت الرواية الخليجية بشكل أو بآخر أن تحقق تفرداً وتميزا في العرض لثيمة الموت؛ فتناول الموت في مجتمعات تعد من المجتمعات الأكثر رفاهية وغناء في العالم يعد أمرا محفزاً للبحث عن السبب الذي جعل الكثير من الكتاب الروائيين عن استلذاذ حكايات الموت وتفاصيله الدقيقة.
- إن الموت في الرواية الخليجية كان مجالاً واسعاً لعرض جميع مشكلات الحياة وتعقيداتها، ولا يختزل في صورة الموت الحقيقي فقط، بل كان له دلالات رمزية كثيرة.
- الموت في كثير من الروايات الخليجية مثل: "عائشة تنزل إلى العالم السفلي"، وكذلك في روايتي عبده خال "الطين" و"الموت يمر من هنا" كان يمثل فضاء أسطوريا لعرض قضايا التمدن والتقدم الاقتصادي في المجتمعات الخليجية.
- أوضح كتّاب الرواية في الخليج بأنهم سعوا بشكل مباشرة إلى تكريس جدلية ضدية داخل نصوصهم بين فكرتي الحياة والموت، وأفرزت هذه الجدلية عن عُقد ذهنية ونفسية تتداعى مع باقي التفاعلات الأخرى المحيطة بواقع الرواية وبيئتها.

أخذ الموت في الرواية الخليجية دوراً وظيفيا في الحدث الروائي، فهو وسيلة للموازنة بين لحظتين وزمانين مختلفين: أحدهما موجود، والآخر: منتظر وقادم لا محالة.

Abstract

Image of Death in Contemporary Gulf Novel by Zuhir Hassan Alamri

The present study attempts to depict the image of death in contemporary Gulf novel in an approach completely different from the analytical approaches of death image in previous Arab novels. This difference is based on the researcher's belief that a literary work reveals society's defects and represents its cultural, social, and intellectual history.

The Gulf novel has been unique for being derived from the Islamic conception of life and people, and connected with a conservative society not much influenced by foreign effects as it happened in most Arab Islamic societies. This has led to multiple topics and experiences in Gulf novel, in which the image of death is the most distinct. This is due to the fact that the novelist's imagination represents society's culture and values.

Thus, the main reason for selecting this topic is the uniqueness of Gulf novelists, unlike other Arab novelists, in their view of the most serious, realistic, and destructive topic, death. This view controls their literary works where we feel their weakness towards and fear of death power when they face it; their faith helps them to defeat death and overcome its inevitability.

Here spontaneously lies the main aim of the present study. It attempts to investigate Gulf novelist's disorders when missing life full of bust, action, and ambition, and his conflict with eternal absence reflected in death's strict inevitability starting from birth cry. It also traces the views and spaces of this experience with its image representing life fields in their fast temporal end.

Key Words: Gulf Novel, Death, Contemporary Novel.

الهوامش:

(١) قاص و روائي سعودي من مواليد ١٩٦٢م، صدر له في الرواية أكثر من سبع روايات ؛ منها : مدن تأكل العشب ١٩٩٨م، الطين ٢٠٠٣م، فسوق ٢٠٠٥م، ترمي بشرر ٢٠٠٨م، وهي الرواية التي حصلت على الجائزة العالمية للرواية العربية " البوكر " في عام ٢٠٠٩م.

(٢) كاتب وروائي سعودي من مواليد ١٩٥٢م، صدر له في الرواية : العدامة ١٩٩٥م، الشميسي ١٩٩٦م، الكراديب ١٩٩٩م، ريح الجنة ٢٠٠٥م.

(٣) صحفي وروائي سعودي من مواليد ١٩٧٩م، صدر له أربع روايات:سقف الكفاية، طوق الطهارة، صوفيا، القندس.

(٤) كاتب وروائي سعودي من مواليد ١٩٨٣م، صدر له في الرواية: الدود ٢٠٠٧م، الأرض لا تحابي أحدا ٢٠٠٩م، القار ٢٠١٢م.

(٥) كاتب ورائي كويتي من مواليد ١٩٨١م، صدر له في الرواية : سجين المرايا ٢٠١٠م، ساق البامبو ٢٠١٣م، وهي الرواية التي حصلت على الجائزة العالمية للرواية العربية " البوكر" في عام ٢٠١٣م.

(٦) كاتبة وروائية كويتية من مواليد ١٩٨٢م، صدر لها سبع روايات ؛منها : ارتطام لم يسمع له دوي ٢٠٠٤م، وسعار ٢٠٠٥م، عائشة تنزل إلى العالم السفلي ٢٠١٢م،كبرت ونسيت أن أنسى ٢٠١٣م.

(٧) قاص وروائي كويتي من مواليد ١٩٥٨م، صدر له في القصة ست مجموعات قصصية منها: " أبو عجاج طال عمرك" و" أغمض روحي عليك "،وفي الرواية صدر له " ظل الشمس " و" رائحة البحر" و" الثوب".

(٨) قاصة وروائية إماراتية صدر لها في القصة " قبر تحت رأسي" وفي الرواية " آخر نساء لجنة " ٢٠١٣م، و"خرجنا من ضلع جبل" وقد حازت على جائزة الإمارات للرواية في عام ٢٠١٤م.

(٩) كاتبة وروائية إماراتية صدر لها في الرواية " من أي شيء خلقت "وقد حازت على جائزة الإمارات الثانية للرواية في عام ٢٠١٤م.

(١٠) صحفي وروائي قطري، صدر له عمل روائي وحيد في عام ٢٠٠٨م بعنوان " غرباء في الرمادي... ذاكرة موت ".

(١١) شاعرة وروائية من سلطنة عُمان، صدر لها رواية واحدة في عام ٢٠٠٩ م بعنوان " حفلة الموت ".

(١٢) أكاديمية وروائية من سلطنة عُمان، صدر لها في الرواية روايتان: منامات ٢٠٠٤م، سيدات القمر ٢٠١٠م.

(١٣) هناك دراسات نقدية كثيرة عرضت لقضية الموت في الشعر العربي ؛ومن هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر:

١- الموت في الشعر العربي الحديث، حسن أحمد عبد السلام، ١٩٩٦ م، د. ن :وفيها عرض لصورة الموت في الشعر العربي الحديث،وتطرق إلى أوجه الاتفاق، وأوجه الاختلاف بين شعر الموت في القديم، وشعر الموت في العصر الحديث،ورصد كثيرا من الظواهر الموضوعية والفنية للعصرين.

٢- تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، عبد الناصر الهلال، ٢٠٠٥م، مركز الحضارة العربية: وفي هذا الكتاب فصّل "هلال" عن فن تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، وعرض فيه لاهتمام الشعراء القدامى والمحدثين بهذا النوع من الفن، وسلط الضوء على اختلاف الرؤى والتصورات والمواقف.

٣- الموت في الشعر الجاهلي، حسن أحمد عبد السلام، ١٩٩١م / ١٤١١ه، القاهرة : دار الحسين الإسلامية، وفيه عرض المؤلف للموت في الشعر الجاهلي وتناول نماذج منه بالشرح والتحليل والتفصيل.

(١٤) هناك دراسات نقدية كثيرة عرضت لقضية الموت في الشعر العربي ؛ومن هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً : الدراسات النقدية

١- الزعبي، أحمد، **إشكالية الموت في الرواية العربية والغربية... دراسات ومقارنات**، الأردن، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م. وعرض المؤلف في هذا الكتاب إلى مقارنة بين صور الموت ومشاهده في عدد من الروايات العربية، وقارن المؤلف بين هذه الصورة وبعض الروايات الأجنبية التي درسها في هذا الكتاب.

٢- شبلول، أحمد محمد، **الحياة في الرواية... قراءات في الرواية العربية والمترجمة**، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠١م.وعرض المؤلف في هذا الكتاب للرؤى الفنية والموضوعية لمجموعة من الروايات العربية حول ثنائية الحياة والموت، ووقف على عدة نماذج روائية لعدد من الروائيين ؛ ومنهم : نجيب محفوظ، ومحمد جبريل، وصنع الله إبراهيم، وحمزة بوقري، وسلوى دمنهوري. وكذلك مجموعة من الروائيين العالميين من مثل : ت. س. إليوت.

ثانياً: الرسائل والأطروحات الجامعية

ـــ علي، مها محمد، **الموت في الرواية المصرية من عام ١٩٧٦ ـــ ٢٠٠٠م**، رسالة دكتوراه، جامعة المنيا : كلية دار العلوم، ٢٠٠٧م / ١٤٢٨ه.وعرضت الباحثة في هذه الأطروحة لمجموعة من الروايات المصرية ما بين عامي ١٩٦٧ إلى عام ٢٠٠٠م، والتي عرضت لثيمة الموت، وفيها تحدثت بالتفصيل

عن البناء الفني لرواية الموت من حيث: بناء الشخصية، وتشكل الزمن والمكان، وبناء اللغة الروائية، وأنواع السرد والحوار.

(١٥) شورون، جاك (١٩٨٤م)، **الموت في الفكر الغربي**، تر. كامل يوسف حسين، الكويت : عالم المعرفة، ص ١٠.

(١٦) عبد الخالق، أحمد محمد، **قلق الموت**، الكويت : عالم المعرفة، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٤٢

(١٧) السهيمي، علوان (٢٠٠٧م)، **الدود**، بيروت : دار الفارابي، ط ١، ص ٣٤

(١٨) المحادين، عبد الحميد، **جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية**، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ٢٠٠١، ص ٧٩

(١٩) خال، عبده (٢٠٠٧م)، **الموت يمر من هنا**، ألمانيا : منشورات الجمل، ط٢، ص ١٣٦.

(٢٠) خال، عبده، **الموت يمر من هنا**، ص ١٣٢.

(٢١) **المصدر السابق**، ص ١٣٦.

(٢٢) السهيمي، علوان، **الدود**، ص ١٦١

(٢٣) خال، عبده، **الموت يمر من هنا**، ص ١٣٩.

(٢٤) الشيدي، فاطمة (٢٠٠٩م)، **حفلة الموت**، بيروت : دار الآداب، ط١، ص ٦٥.

(٢٥) الرفاعي، طالب، **رائحة البحر**، دمشق : دار المدى، ط ٢، ٢٠٠٦م، ص ٢٩٧

(٢٦) المحادين، عبد الحميد، **جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية**، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ٢٠٠١، ص ٨٩

(٢٧) السنعوسي، سعود (١٤٣٥/ ٢٠١٤م)، **سجين المرايا**، بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ٦ ص ٧٥

(٢٨) العيسى، بثينة (١٤٣٣/ ٢٠١٢م)، **عائشة تنزل إلى العالم السفلي**، ص٢٥ ـ ٢٦.

(٢٩) العيسى، بثينة، **مصدر سابق**، ص٤١

(٣٠) **المصدر السابق**، ص ٢٦.

(٣١) العجيلي، شهلا (١٤٣٢/ ٢٠١١م)، **الخصوصية الثقافية في الرواية العربية**، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ص ٢٢٤.

(٣٢) المودن، حسن (١٤٣٠/ ٢٠٠٩م)، **الرواية والتحليل النصي... قراءات من منظور التحليل النفسي**، الرباط: منشورات الاختلاف، ط ١، ص ٦٣

(٣٣) العيسى، بثينة، **مصدر سابق**، ص ١٨.

(٣٤) الحمد، تركي، **ريح الجنة**، بيروت : دار الساقي، ط ٣، ٢٠٠٦م، ص ٤٥

(٣٥) السنعوسي، سعود (١٤٣٥/ ٢٠١٤م)، **سجين المرايا**، بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ٦ ص ٢٧

(٣٦) سلمان، جاسم (٢٠٠٨م)، **غرباء في الرمادي... ذاكرة موت**، بيروت : دار الفارابي، ط١، ص ٩

(٣٧) خال، عبده، **مصدر سابق**، ص ٣٤.

(٣٨) العيسى، بثينة، **مصدر سابق**، ص ٦٥.

(٣٩) كونديرا، ميلان (٢٠٠١م)، **فن الرواية**، تر. بدر الدين عرودكي، أفريقيا الشرق، ط ٣، ص ٣٢.

(٤٠) المنصوري، لولوه (٢٠١٣م)، **آخر نساء لنجة**، الشارقة : دائرة الثقافة والإعلام، ط ١، ص ١١٣.

(٤١) المنصوري، لولوه، **مصدر سابق**، ص ١٨٠.

(٤٢) **المصدر السابق،** ص ٣٩

(٤٣) العيسى، بثينة، **مصدر سابق،** ص ٢٨.

(٤٤) العدواني، أحمد (٢٠١١م)، **بداية النص الروائي...** مقاربة لآليات تشكل الدلالة، المغرب : المركز الثقافي العربي، ط ١، ص ١٢١.

(٤٥) العيسى، بثينة، **مصدر سابق،** ص ٢٨.

(٤٦) الحارثي، خوجة (٢٠٠٤م) **منامات،** بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ص ٦٢

(٤٧) **المصدر السابق نفسه**.

(٤٨) **المصدر السابق،** ص ١٣٠

(٤٩) علون، محمد حسن، **صوفيا،** بيروت : دار الساقي، ط ٢، ٢٠٠٦م، ص ٧

(٥٠) الورقي، السعيد (١٤٣٠/ ٢٠٠٩م)، **اتجاهات الرواية العربية المعاصرة،** القاهرة : دار المعرفة الجامعية، ط ١، ص ٢٨٧

(٥١) السهيمي، علوان، **الدود،** ص ١٣٤

(٥٢) الورقي، السعيد، **مرجع سابق،** ص ٢٨٠

(٥٣) السنعوسي، سعود، **ساق البامبو،** بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ١٤٣٥،١٥ه/ ٢٠١٤م، ص ٣٣٠

(٥٤) الورقي، السعيد، **مرجع سابق،** ص ٢٨٤

(٥٥) المهيري، ميثاء، **مصدر سابق،** ص ٩

(٥٦) الشيدي، فاطمة، **مصدر سابق،** ص ٦٧

(٥٧) العجيلي، شهلا، **مرجع سابق،** ص ٢٢٧.

(٥٨) السريحي، صلوح مصلح (١٤٣٠ه / ٢٠٠٩م)، **تغيب المكان وبعثه في رواية الموت يمر من هنا لعبده خال، جدة : مجلة علامات، مج ١٨، جزء ٦٩،** ص ٨٧١ ـــ ٨٧٢

(٥٩) سلمان، جاسم (٢٠٠٨م)، **غرباء في الرمادي... ذاكرة موت، بيروت**: دار الفارابي، ط١، ص ٩ ــ ١٠

(٦٠) الشيدي، فاطمة، **مصدر سابق،** ص ٨٧.

(٦١) **المصدر السابق نفسه،** ص ١٣٥.

(٦٢) المهيري، ميثاء (١٤٣٤ه/ ٢٠١٤م)، **من أي شيء خلقت،** دبي : دار مدارك للنشر، ط ٢، ص ١٢

(٦٣) العلوي، يحيى بن حمزة (١٩١٤م)، **المضتمن لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الإعجاز،** مطبعة المتقطف، ص ٨٠

(٦٤) سليمان، خالد (١٩٩٩م) **المفارقة في الأدب،** عمّان : دار الشروق للنشر والتوزيع، ط ١، ص ٦٦

(٦٥) الشيدي، فاطمة (٢٠٠٩م)، **حفلة الموت،** بيروت : دار الآداب، ط١، ص ١٣٧ـ ١٣٨

(٦٦) علون، محمد حسن، **صوفيا،** بيروت : دار الساقي، ط ٢، ٢٠٠٦م، ص ٤١

(٦٧) العيسى، بثينة، **مصدر سابق،** ص ٢٨.

(٦٨) السنعوسي، سعود، **سجين المرايا،** ص ٧٥